

الباب الثامن عشر

بابِ قول اللّه -تعالى-: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾

قناة التأصيل العلمي





١

الباب الثامن عشر: باب قول الله -تعالى-:

(إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ)

ما هو غرض المصنف من عقد هذا الباب؟

١. الرد على الذين غلو في النبي ﷺ
٢. الرد على المشركين الذين يتعلقون بالأولياء والصالحين يدعونهم ويستغيثون بهم

لأنه إذا كان رسول الله -ﷺ- لم يملك لعمه أبي طالب شيئًا

ولأن الرسول -ﷺ- نُهي عن الاستغفار لعمه أبي طالب بقوله: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ)

ولأن الله -تعالى- عاتب رسوله -ﷺ- بقوله: (إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ)

على ماذا يدل ذلك؟

أنه إذا كان هذا في حق النبي -ﷺ- وهو أفضل الخلق
فهذا يدل على أنه لا يُدعى من دون الله، ولا يُطلب منه شيء من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله
فغيره من باب أولى من الأولياء والصالحين وأصحاب الأضرحة
لا يطلب منهم الهداية ولا قضاء الحاجات ولا شفاء المرضى ولا جلب الرزق ولا إنزال المطر
هذا كله لا يطلب إلا من الله عز وجل

ومن طلبه من غير الله تعالى

فهو مشرك الشرك الأكبر المخرج من الملة


٢



وفي الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله -ﷺ- وعنده عبد الله بن أمية، وأبو جهل، فقال له -ﷺ-: (يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله)

ما المراد بقوله: (لما حضرت أبا طالب الوفاة)؟

- قارب على الوفاة، أنه لما حضرته الوفاة وظهرت عليه علامات الموت قبل أن تبلغ روحه الغرغرة وقبل أن يأتي الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة
- ويحتمل أنه بلغ نزع الروح، فيكون هذا خاصًا بأبي طالب، وأما غيره إذا وصل إلى هذا الحد فإنه لا تقبل منه توبة

من هو أبو طالب؟

- عم الرسول -ﷺ-، كفل الرسول -ﷺ- بعد موت جده عبد المطلب، وبقي أبو طالب حول الرسول -ﷺ- قبل البعثة وبعد البعثة يدافع عنه ويحميه من أذى قومه ويصبر معه على مضايقات المشركين إلى سنة ثمان من البعثة لم يفارقه

من كان جلساء أبو طالب عند موته؟

- عبد الله بن أمية المخزومي: منّ الله عليه بالإسلام فأسلم
- أبو جهل عمرو بن هشام: سماه الرسول فرعون هذه الأمة وقتل يوم بدر كافرًا والعياذ بالله

على ماذا يدل قول الرسول -ﷺ- (يا عم)؟

- فيه استعطاف، وكان -ﷺ- حريص على الدعوة إلى الله خصوصا مع اقاربه وحريص على هداية عمه لينقذه من النار

ماذا طلب الرسول -ﷺ- من عمه؟

- قل (لا إله إلا الله): انطق بها معتقدًا لها بقلبك

ما فائدة هذه الكلمة (لا إله إلا الله) له؟ وعلى ماذا يدل؟

- أشهد لك بها عند الله يوم القيامة من أجل نجاتك من النار ترغيبًا له في قولها
- وهذا يدل أن الداعية إلى الله يبين للناس العواقب الحسنة إن استجابوا ويحذرهم من العواقب الوخيمة إن لم يستجيبوا فالداعية يبشر وينذر




كيف كان تأثير جلساء السوء على أبي طالب؟	تسببوا في شقاوة هذا الرجل، وعارضوا الرسول وأثاروا النخوة والحمية الجاهلية والتعصب الممقوت
ما الحجة التي استخدموها في صده عن النطق بلا إله إلا الله؟	أترغب عن ملة عبد المطلب؟ (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ) وهذه يحتج بها المشركون إذا جاءتهم الرسل، قالوا: نحن وجدنا آباءنا على هذا ولا نقدر أن نترك دين آبائنا ونتبعكم
على ماذا يدل قوله (فأعاد عليه النبى ﷺ) ؟	أن الداعية لا ييأس
ماذا حصل في نهاية الآمر؟	أخذته الحمية الجاهلية وقال: (هو على ملة عبد المطلب) مات على الشرك والعياذ بالله
ماذا فعل النبى -ﷺ- عند ذلك؟	أشفق على عمه لما رأى أنه مات على الشرك وكان في حياته ينصره ويؤيده فقال -ﷺ-: (لأستغفرن لك ما لم أنه عنه) وهذا من كمال شفقته ومن مجازاته على المعروف ووفائه
ماذا أنزل الله -تعالى- بهذا الشأن؟	(مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) فنهى الله رسوله -ﷺ- عن ذلك، ونهى المؤمنين كذلك عن الاستغفار للمشركين

فأنزل الله قوله -عز وجل-: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ)

(مَا كَانَ) أي لا يليق ولا ينبغي وهذا خبر معناه النهى والتحذير

لا يجوز الاستغفار للمشركين لا أحياء ولا أمواتًا، لأنه لا تجوز محبتهم وموالاتهم ما داموا على الشرك، وإنما يُطلب لهم الهداية



وأنزل الله في أبي طالب: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ)

من المخاطب بقوله (إِنَّكَ)؟	أيها الرسول
ما معنى (لَا تَهْدِي)؟	لا تملك الهداية
ما معنى (مَنْ أَحْبَبْتَ)؟	من أحببت من أقاربك وعمك والمراد المحبة الطبيعية
ما الفرق بين المحبة الطبيعية والمحبة الدينية؟	المحبة الطبيعية: الحب الطبيعي لا يدخل في الأمور الدينية المحبة الدينية: والمودة الدينية لا تجوز للمشرك ولو أقرب الناس

أنواع الهداية في حق الرسول ﷺ

هداية مثبتة

هداية يملكها الرسول ﷺ

هداية الدلالة والإرشاد والدعوة والبيان، ويملكها كل عالم يدعو إلى الخير

قال -تعالى-: (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)

هداية منفية

هداية لا يملكها الرسول ﷺ

هداية القلوب وإدخال الإيمان في القلوب فهذه لا يملكها أحد إلا الله عز وجل

قال -تعالى-: (لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ)

(وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)

لا يضع الهداية إلا في قلب من يستحقها أما الذي لا يستحقها فإن الله يحرمه منها ومن ذلك حرمان أبي طالب من الهداية لأنه لا يستحقها

فكان التعصب للباطل وحمية الجاهلية سبب في عدم التوفيق والعقوبة بالزيغ والضلال



٥

مسائل عظيمة دل عليها الحديث والآية:

١ أن الداعية لا ييأس ولا يقنط من القبول أو يكسل عن مواصلة الدعوة فمن قبل فالحمد لله، ومن لم يقبل قامت عليه الحجة وحصل الأجر للداعية

٢ مشروعية عيادة المريض المشرك من أجل دعوته إلى الله تعالى

٣ أن من قال: لا إله إلا الله فإنه يقبل منه ويحكم بإسلامه، فإن كان صادقًا فيما بينه وبين الله فهو مسلم حقًا وإن كان كاذبًا فيما بينه وبين الله فهو منافق أمره إلى الله أما نحن فليس لنا إلا الظاهر

٤ أن الأعمال بالخواتيم، فأبوطالب عاش على الكفر والشرك لكنه لو قال: لا إله إلا الله عند الوفاة واستجاب للرسول -ﷺ- لختم له بالإسلام

٥ التحذير من جلساء السوء فأبو طالب مات على الكفر بسبب مشورتهما

٦ أن معنى (لا إله إلا الله) كفر بالطاغوت وإيمان بالله، بخلاف ما يعتقده كثير من الخرافيين فهم يقولون لا إله إلا الله ويقولون يا حسين ويذبحون للموتى ويستغيثون بهم

٧ أن أبا جهل أفهم من الخرافيين بمعنى (لا إله إلا الله) فهو فهم أن معناها: ترك عبادة الأوثان، والخرافيون ما فهموا هذا، ما فهموا أن لا إله إلا الله معناها ترك عبادة القبور وهذه هي العقيدة الصحيحة وهذا هو فقه الدعوة

٨ فيه الرد على المرجئة الذين يقولون: أن الايمان هو مجرد المعرفة والاعتقاد دون العمل لأن الأعمال ليست شرط في الإيمان

وهذا باطل لأن معرفة أبي طالب لرسالة النبي -ﷺ- لم تعتبر إسلامًا فالمشركين يعرفون أنه رسول الله -ﷺ- ولكن الكبر والحمية جعلتهم لا يقبلون الدعوة، وفرعون عارف بقلبه صحة ما جاء به موسى ولكنه منعه الكبر والمعاندة فالمعرفة والاعتقاد وحدها لا تكفي

٩ تحريم الاستغفار للمشركين، والترحم عليهم، وموالاتهم، ومحبتهم

١٠ التحذير من التعصب لدين الأباء والأجداد إذا كان يخالف ما جاءت به الرسل واتباع الأباء والأجداد على الحق مشروع

١١ الرد على المشركين الذين يتعلقون بالأولياء ويدعونهم من دون الله لأنه إذا كان الرسول -ﷺ- لم يملك لعمه أبي طالب الهداية فغيره من باب أولى

المرجع: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح الفوزان حفظه الله تعالى.